الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي- برج بوعريريج-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة في مقياس: التغير الإجتماعي1 و2 موجهة للسنة ثانية علم الإجتماع

إعداد الدكتور / هشام سبع

السنة الجامعية: 2017/2018

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
مقدمة	1-3

السداسي الأول " التغير الإجتماعي1"	**4-33**
المحور الأول -مدخل إلى التغير الاجتماعي	**4-12**
مدخل	**4-6**
أولا- مفاهيم التغير الإجتماعي	**7**
أ- التغير الاجتماعي والتقدم الاجتماعي	**7-8**
ب- التغير الاجتماعي والتطور الاجتماعي	**8-10**
ج- التغير الاجتماعي والنمو الاجتماعي	**10-11**
ثانيا – آليات ومصادر التغير الإجتماعي	**11**
المحور الثاني- نظريات التغير الاجتماعي	**13-21**
أولا- النظريات الحتمية في التغير الاجتماعي	**13**
أ-نظرية الحتمية الجغرافية	**13-14**
ب-نظرية الحتمية البيولوجية	**15 -16**
ثانيا- النظريات التطورية في التغير الاجتماعي	**16-18**
أ- النظرية التطورية	**16**
ب- النظرية الدائرية في التغير الاجتماعي	**18**
ج- نظرية الصراع في التغير الاجتماعي	**19**
د- النظرية التوفيقية في التغير الاجتماعي	**20**
المحور الثالث- عوامل التغير الاجتماعي	**21-24**
مدخل	**21**
أولا-عامل الإرادة في التغير الاجتماعي	**21**
ثانيا-عامل القيادة في التغيّر	**22**
ثالثا- عامل الإنتاج والصناعة في التغيّر	**22**
رابعا- عامل الطبيعية في التغيّر	**23**
خامسا- العامل الديموغرافي في التغّير	**24**
المحور الرابع- مصادر التغير الاجتماعي	**25-29**
مدخل	**25**
أولا-المصادر الخارجية	**25**
أ- التغيرات البيئية	**25**
	26

ب- الغزو والحروب	
ج- الاتصال الثقافي	**26**
د- الانتشار الثقافي	**27**
ثانيا- المصادر الداخلية	**28**
أ- الاكتشافات والاختراعات	**28**
ب- التحديث	**28**
ج- التحولات السكانية والديموغرافية	**29**
المحور الخامس- أنماط التغيّر الاجتماعي	**30-32**
أولا- التغير الإجتماعي الخطي أوالطولي	**30**
ثانيا- التغير الإجتماعي الثوري	**31**
ثالثا- التغير الشمولي و العالمي	**32**
السداسي الثاني" التغير الإجتماعي2	**33-80**
المحور الأول- الفاعلون الإجتماعيون في التغير الإجتماعي	**33-37**
مدخل عام	**33**
أولا-ضبط تعاريف -الفعل-الفاعل الإجتماعي	**34**
ثانيا- خصائص الفاعل الإجتماعي	**35**
تعقيب	**37**
المحور الثاني- النَّخب والفعل الاجتماعي	**37-41**
مدخل	**37**
أولا-النخبة في الفكر السوسيولوجي	**38**
ثانيا- أصناف وأنواع النخب	**39**
أ-النخب الثقافية	**39**
ب-النخب العلمية والتكنولوجية	**39**
ج-نخب المجتمع المدني	**39**
ثالثا-أدوار النخبة في المجتمع	**40**
تعقيب	**41**
المحور الثالث- الحركات الإجتماعية وجماعات الضغط	**42-46**

مدخل	**42**
أولا- منابع تشكل الحركات الإجتماعية	**42**
ثانيا- خصائص الحركات الإجتماعية	**43**
ثالثا-أنواع الحركات الإجتماعية	**44**
تعقيب	**46**
المحور الرابع- التغير في الفكر الإسلامي	**46-52**
مدخل	**46**
أولا- ضبط مفهوم الفكر والفكر الإسلامي	**47**
ثانيا-صفات وخصائص الفكر الإسلامي	**48**
تعقيب	**49**
ثالثا-مصادر الفكر الإسلامي	**49**
رابعا-الفكر الإسلامي وظاهرة التغير الإجتماعي	**50**
المحور الخامس-دور وسائل الإعلام في التغير الإجتماعي	**53-58**
مدخل	**53**
أولا- وسائل الإعلام وأهم أهدافها	**54**
ثانيا- علم الإعلام والظاهرة الإجتماعية	**54**
ثالثا-مجالات التأثير الإعلامي في التنمية والتغير الإجتماعي	**55**
تعقيب	**58**
المحور السادس- العولمة والتغير الإجتماعي	**59-64**
مدخل اولا-تحديد مفهوم العولمة	**59**
ثانيا– صور وتمثلات العولمة	**60**
ثالثا-العولمة وحراك التغير الإجتماعي	**62**
تعقيب	**63-64**
المحور السابع-التغير الإجتماعي في الوطن العربي	**64-71**
مدخل	**64**

أولا- أسباب التغير الاجتماعي في الوطن العربي	**65**
ثانيا-الحركات الإحتجاجية وبوادر التغير الاجتماعي العربي	**68**
تعقيب	**69-70**
ثالثا- سلبيات التغير الإجتماعي في الوطن العربي	**70**
تعقيب	**71**
المحور الثامن- مجالات التغير الإجتماعي	**72-75**
مدخل	**72**
مجالات التغير الإجتماعي	**72**
أ-مجال التربية التعليم	**72**
ب-مجال التغير والأسرة	**73**
ج-مجال التغير والإقتصاد	**74**
د-مجال التغير والسكان	**74**
المحور التاسع-معوقات التغير الإجتماعي	**75-79**
مدخل	**75**
أ-المعوقات الإيكولوجية	**75**
ب-المعوقات السيكولوجية والاجتماعية	**76**
ج-المعوقات الثقافية	**77**
د-المعوقات الإقتصادية	**78**
ه-المعوقات السياسية	**78-79**
خاتمة	**80**
قائمة المصادر والمراجع	**81- 85**

مقدمة:

يزخر علم الاجتماع بالعديد من المفاهيم والمقولات التي أرست مفاهيم الظاهرة السوسيولوجية منذ تاريخ طويل ، وعلى اعتبار أن الكثير من علماء السوسيولوجيا، وعلى راسهم العلماء المؤسسين لعلم الإجتماع كـ: اوجست كونت، سان سيمون، فيبر وإميل دوركايم، قد أضافوا تصورات نظرية وأطر فكرية، ومداخل تفسيرية لفهم حدوث الظواهر، والمشكلات الإجتماعية ومحاولة تفسيرها من خلال مجموعة من النظريات، والإسهامات كالنظرية الماركسية والنظرية الميتودولوجية، والنظرية البنيوية والوظيفية. فقد اهتم العلماء والمفكرين السوسيولوجيين بمفهوم التغير الإجتماعي كأحد المفاهيم والمرتكزات التحليلية لفهم حراك المجتمع وشكل وحجم تغيره سواء كان مجتمع محلي أو عالمي .

إن نظريات التغير الإجتماعي على اختلاف أنواعها ، وتاريخ ظهورها، هي النظريات الأكثر شمولا وتفسيرا لواقعة التغير الإجتماعي في أي مجتمع وتبدل نظمه، وأنساقه و علاقاته واهم تفاعلاته. فالنظريات الخطية الحتمية والجغرافية، أو نظرية عبد الرحمان ابن خلدون في تفسيره التطور التاريخي لتحول ظاهرة العمران البشري، او حتى نظرية الصراع لكارل ماركس، أو نظرية تبدل المجتمع لماك ليلاند، أو نظرية تحول المجتمعات واسهامات أوجست كونت، قد بينت التصورات العلمية لفهم حقيقة تغير المجتمع وتحوله في إطار التغير الخطي المستمر. أو التغير الدائري المتقطع، والذي شهدته المجتمعات الغربية منذ تاريخ ظهور المجتمعات والكشوفات الجغرافية مطلع القرن السادس عشر.

ومنه يأتي مقياس التغير الإجتماعي كأحد المقاييس الجديدة في مسار تكوين الطالب في علم الإجتماع، في شقين ، الأول في السداسي الأول بحيث يتناول مجموعة من المحاور والمداخل التفسيرية لفهم ظاهرة التغير الإجتماهي وأهم نظرياته، ويأتي الشق الثاني من هذا المقياس ليبين تجليات ظاهرة التغير الإجتماعي على المستوى الميداني عند الدول العربية .

ومن هذا المنطلق تأتي هذه المطبوعة لتدعم التكوين العلمي لطلبة سنة ثانية علم الإجتماع في مقياس التغير الإجتماعي1 و2 على مدار سنة كاملة، في إطار التكوين النظري للطلبة سواء تعلق الأمر بالسداسي الأول أو الثاني ، حيث قمت بصياغتها وفق البرنامج المقرر المتعلق بهذا المقياس في المحاضرة بحجمها الساعي " ساعة ونصف " أو الأعمال التوجيهية بحجمها الساعي "ساعة ونصف" . كما أن هذه المطبوعة تأتي كإضافة سوسيولوجية لنظريات التغير الإجتماعي، واهم محتوياته في حقل علم الإجتماع التفسيري وأيضا تأتي كسند نظري تكويني وأساسي لطلبة السنة الثانية بمجموعة من المحاور في السداسي الأول ، ومجموعة من المحاور في السداسي الثاني.

ولأنني درست مقياس " التغير الإجتماعي" كأستاذ محاضر ومطبق"، على مدار أربع سنوات كاملة منذ السنة الجامعية2014/2015 إلى غاية السنة الجامعية الحالية لجميع الأفواج في كل سنة 2017/2018، فإن هذه المطبوعة احتوت مجموعة من المحاور، تأتي مفصلة وفق الشكل التالي:

في السداسي الأول تضمنت هذه المطبوعة خمسة محاور كبرى وتأتي كلها نظرية تفسيرية وقد تضمن المحور الأول مدخل إلى التغير الاجتماعي، في حين أن المحور الثانيتحدث عن نظريات التغير الاجتماعي، أما المحور الثالث فقد تضمن عوامل التغير الاجتماعي، وجاء المحور الرابع ليتناول مصادر التغير الاجتماعي. أما المحور الخامس فقد احتوى أنماط وأنواع التغيّر الاجتماعي.

أما السداسي الثاني فقد تضمن تسعة محاور كبرى وكلها عملية أكثر ، حيث تناول المحور الأول الفاعلون الإجتماعيون في التغير الإجتماعي، اما المحور الثاني فقد تناول النُّخب والفعل الإجتماعي.أما المحور الثالث فقد ركز على الحركات الإجتماعية وجماعات الضغط ، وفي المحور الرابع تناولنا التغير في الفكر الإسلامي، وقد ركز المحور الخامس على دور وسائل الإعلام في التغير الإجتماعي. أما المحور السادسفقد تضمن العولمة والتغير الإجتماعي، في حين أن المحور السابع جاء ليتناول التغير الإجتماعي في الوطن العربي، وفي المحور الثامن ركزنا على مجالات التغير الإجتماعي ، واخيرا المحور التاسع جاء مزكزا على أهم معوقات التغير الإجتماعي.

السداسي الأول " التغير الإجتماعي1"

المحور الأول -مدخل إلى التغير الاجتماعي:

مدخل:

لقد حظي مفهوم التغير باهتمام العديد من المنظرين السوسيولوجيين الذي أرادوا تحديد ماهيته، وتتبع تطوراته،ولأن التغير الاجتماعي يعتبر أحد المواضيع الرئيسية التي يعالجها علم الإجتماع منذ نشأته إلى الآن عرف التغير الاجتماعي : من الناحية السوسيولوجية على انه" تلك التحولات التي لها معنى جزئيا وكليا بالنسبة للنظام الاجتماعي في أجزائه المكونة له وطريقة الفعل" .[1] ، وغالبا ما سعوا لشرح التغير الاجتماعي ، ومحاولة منهم التنبؤ بمستقبله وفق نموذج محدد ومن بين الذين اهتموا بفكرة التغير الاجتماعي السوسيولوجي "هربرث سبنسر" وأوجست كونت ، و" باريتو فلفريدو" والاقتصادي كارل ماركس وغيرهم وقد دعتنا الضرورة العلمية إلى التعرض لأفكار هؤلاء وفق تسلسل زمني في الطرح بحيث يقدم لنا هذا الطرح زوايا الإيضاح والتبيان في بحثنا الحالي.

ويرى هربرث سبنسر أن تطور المجتمع عملية نمو وارتقاء وهي العملية التي تقترب من التطور العضوي والتي من شأنها أن تعمل على التعقيد وتزيد من التباين في التركيب والعمل ، وكذلك في الاعتماد المتبادل بين الأجزاء المختلفة ، وقد تصور سبنسر قيام نظام صناعي يحمي حقوق الفرد بشكل متزايد ، كما يقلل هذا النظام من مركزية الحكومة ويلغي الحروب ويزيل الحدود الإقليمية ويقيم مجتمعا عالميا ؟ وقد أدرك سبنسر ان مدى تنوع العوامل التي تؤدي إلى التطور الإجتماعي ، وأدرك العقبات التي قد تعترض التطور في مجتمع معين ، حيث يرى أن" التطور أمر حتمي لا يمكن لأي مجتمع أن يتحاشاه أو يبتعد

[1]- André Akoun ET Pierre Ansart. Dictionnaire De Sociologie. le Robert Seuil 1999 P

عن مجراه" [2] "والتطور الإجتماعي من المظاهر العامة التي تميز المجتمعات بعضها عن بعض خاصة من حيث وظائفها" . [3]

اما أوجست كونت فيرى بان التغير الاجتماعي هو " نتاج لتطور الذكاء الإنساني وأن تطور المجتمع يعني عملية نمو وتقدم "، وقد تبلور حسبه هذا التطور من خلال مروره - التطور- بفكرة الأطوار الثلاثة (قانون المراحل الثلاثة) بحيث يتسم الطور الأول بالتفكير الثيولوجي " الديني" ، في حين يرتبط الطور الثاني بالحالة الميتافيزيقية أو الفلسفية ، أما الطور الثالث فيتعلق بانتقال الفكر الإنساني إلى العلمية " أو بما أسماه بالوضعية والانتقال إلى العلمية ، فالعلمية عند كونت ملازمة للتطور الأخلاقي - أنماط السلوك الفردي والجماعي الحسي والمعنوي - الذي بدوره يؤثر في تغير النظم الاجتماعية القائمة في المجتمع .

أما باريتو فلفريدو فقد تناول التغير في بعده السياسي ، حيث رأى أن التغير السياسي " مشابه للدولاب الذي يدور بينما يبقى هو نفسه دون تغير ، فالجماهير تبقى بعيدة عن المشاركة الفعالة في حكومتها ، والتغير الذي يحدث ليس إلا استبدال نخبة مختارة بنخبة أخرى" [4] . فقد رأى باريتوا عند تفسيره للتغير السياسي، أنه عندما يعتري (الوهن) سلالة نخبة ما مسيطرة تتولى إدارة شؤون المجتمع فإن المجتمع يعمل على استمراريته من خلال " تغيير الحارس ولكن الحراس وطبيعتهم كأقلية متحكمة أمر قابل للتغيير" ، إضافة إلى ذلك فإن التغير - حسب باريتو- لا يتم " استجابة للتحرك السياسي بين الجماهير أو بين طبقات اجتماعية معينة، بل هو - التغير- مسألة داخلية صرفة، أو قضية تتم ضمن النخبة الممتازة".[5]

أما المفكر الماركسي فينظر إلى " التغير" على أنه تحول المجتمع نحو اللاطبقية - مجتمع بدون طبقات - ويحدث ذلك من خلال الصراعات الجدلية التي تطيح فيها الطبقة المحكومة بالطبقة الحاكمة ، لتؤسس نموذجا اجتماعيا جديدا ، فحسب كارل ماركس يكون " الدولاب قد وصل إلى دورته الأخيرة ...إذ بثورة البروليتاريا كادت القصة أن تصل إلى نهايتها ، وسيؤدي انتصارها إلى ظهور مجتمع بلا طبقات ، مجتمع لا يعرف تناقضا رئيسيا ، حيث

---

[2]- إتزيوني ،**التغير الإجتماعي**، الفصل الرابع، ص8

[3]- نفس المرجع، ص 8

[4]- إتزيوني ، المرجع السابق ، ص10

[5]- انظر كتاب إتزيوني **حول التغير الإجتماعي**، الفصل الرابع، ص ص55- 61

لا يعرف ثورات ...[6] وحسب النظرية الماركسية التاريخ عبارة عن سلسلة من الصراعات العنيفة أكثر مما هو تقدم نحو الأعلى.

وينظر ماكس فيبر إلى أن التغير يكمن في " تغيير النظام القديم الذي يكون قد استنفذ شرعية قيامه ، بنظام جديد من خلال بروز قائد قادر على الاستقطاب من خارج النظام فان أساس البنية الجديدة ستواجه الافتقار إلى الشرعية التي قد تمنح الحق للمعارض الذي يؤدي نفس الدور الذي أداه من سبقه ، ومن جانب أخر فإن خط التطور - حسب فيبر- وفق خط مستقيم ، حيث ينظر إلى تطور الثقافة عملية عقلنة متزايدة باستمرار وتنام " للتجانس والتماسك الداخليين"، ويبدو ذلك حسبه في الانتقال من " السحر" إلى" العلم" وفي تطور الدين من تعدد الآلهة إلى مبدأ التوحيد ، ويعتبر نهج فيبر في التغير نهج ذو شقين ، فقد أدمج " المفهوم الدائري" للتطور الاجتماعي " بنظرية الخط المستقيم للتطور الثقافي ، فالتركيب الاجتماعي - حسبه- يلحق بالتطور الثقافي ، من خلال دورات الاستقطاب ، أين يعيد (البناء الاجتماعي) تنظيم نفسه على أسس ثقافية متزايدة العقلانية[7]

إن اهتمام الرواد الأوائل للفكر السوسيولوجي بمفهوم التغير ، والذي أدرجتاه كمدخل تاريخي في بحثنا الحالي يبين أن هؤلاء الرواد قد ركزوا على حركة المجتمع وتغيراته الثقافية والبنائية ، وقد طوروا قوانين مختلفة متعلقة به ، إلا أنهم لم يستخدموا مفهوم التغير ، قدر استخدامهم لمفاهيم أخرى كالتطور والتقدم ، غير أن ذلك لا ينفي وجود التراكم المعرفي حول أنماطه وعوامله التي تجسدت في القرن التاسع عشر. ولو أننا سنحاول قبل التطرق إلى نظريات التغيّر الاجتماعي أن نستعرض المفاهيم المرادفة لمفهوم التغير كالتطور والتقدم الاجتماعي لما لها من أهمية بالغة في تفسير قضية التغير والتغيرات الاجتماعية الحاصلة في المجتمع.

أولا- مفاهيم التغير الإجتماعي:

أ- التغير الاجتماعي والتقدم الاجتماعي:

إن مفهوم التغير ظهر لمواجهة أوجه القصور في المفاهيم الأخرى التي تدل على عملية التحول الاجتماعي ، وقد ظلت تلك المفاهيم تستخدم من قبل الباحثين والمهتمين بمجال التغير والتحول الاجتماعيين للمجتمع البشري ، فقد استخدم مفهوم التقدم من قبل الرواد الأوائل للتعبير عن التغير الذي عرفته الإنسانية في فترات معينة من تاريخها دون الفصل في تحديد طبيعة التقدم الذي عرفه المجتمع عبر التاريخ . وقد نظر إلى التقدم على أنه

---

[6]- إتزيوني ، مرجع سبق ذكره، ص 11

[7]- ماكس فيبر ، **دور الأفكار في التاريخ**، نقلا عن إتزيوني ، ص ص79- 100

يحمل نفس المعنى الذي يحمله مفهوم التغير، فإذا كان المفهومان يدلان على انتقال الفرد أو المجتمع من حالة إلى أخرى ، فإن المهتمين رأوا بضرورة الفصل بين دلالة المفهومين، فإذا كان الخلط بينهما جائزا في عصور سابقة ، نظرا لعدم وجود دراسات علمية تبحث في ماهية التغير وعوامله واتجاهاته، فإنه أصبح من غير الممكن الاستمرار في هذا النهج أو التقدم في الدراسات الاجتماعية ، فالتقدم حسب ما ذهب إليه أحمد زايد يشير إلى حالة التغير التقدمي الذي يرتبط بتحسن دائم في ظروف المجتمع المادية، واللامادية حيث يسير التقدم نحو هدف محدد أو نقطة نهائية[8] وغالبا ما يرتبط هذا الهدف المحدد بنوع من الغائية ، أي أنه يرتبط برؤية ترى عملية التحول الاجتماعي، عملية تقدمية، ترمي إلى غاية يتحقق فيها نوع من " المثل الأعلى" أو المجتمع المثالي بينما يشير مفهوم " التغير الاجتماعي " إلى كافة أشكال التحول الجزئية والكلية - التي تطرأ على البناء الاجتماعي- الثقافي للمجتمع ...عبر سلسلة متصلة من العمليات المستمرة عبر الزمن ويكون لها نتائج بعيدة المدى عبر المستويات المختلفة للبناء الاجتماعي [9]

لقد أدى التطور والتقدم في العلوم الاجتماعية إلى استخدام مفهوم التقدم للإشارة فقط إلى وجهة التغير الاجتماعي ، وهو كما أشار إليه " بوتومور"، راجع لتعرض المفهوم للازدراء منذ نهاية القرن التاسع عشر مما نتج عنه إدراك لأوجه القصور في مفهوم " التقدم" ، وهي حسب " بوتومور" كالتالي[10]:

- مفهوم التقدم يعاني من التحيز القيمي ، لكونه مفهوم " غائي"

- لا يستوعب كل جوانب التغير، ويستوعب فقط جانب التغير التقدمي

- يقوم على افتراض لا يمكن التحقق منه، ولا يمكن من التوصل إلى الأحكام اليقينية

ب- التغير الاجتماعي والتطور الاجتماعي:

من المفاهيم المرتبطة ارتباطا وثيقا بمفهوم التغير الاجتماعي مفهوم التطور الاجتماعي، والتطور الاجتماعي سوسيولوجيا يعني التدرج الذي يؤدي إلى تحولات منتظمة ومتلاحقة ، تمر بمراحل مختلفة ترتبط فيها كل مرحلة لاحقة بالمرحلة السابقة.[11] لقد برز هذا المفهوم بشكل واضح في القرن التاسع إثر النجاح الذي حققته علوم الحياة والتي أدّت إلى ظهور

---

[8]- أحمد زايد، **التغير الاجتماعي**، 1992، ص 17

[9]- أنظر يوسف خضور، نقلا عن ، الربيع جصاص، **الحركات الإسلامية والتغير الثقافي في المجتمع الجزائري**، جامعة منتوري ، قسنطينة، الجزائر2008، رسالة دكتوراه غير منشورة،ص ؟؟؟؟

[10]- بوتومور، **تمهيد في علم الاجتماع**، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، ص 335

[11]- لطيفة طبال،**" التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية "**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد الثامن ، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن جوان 2012، ص

نظرية النشوء والتطور ل " داروين" والمتعلقة بتطور الكائنات الحية والتي فتحت الباب فيما بعد أمام العلماء والمفكرين للبحث عن أصول مختلف الظواهر الاجتماعية تأصل الحضارة ، اللغة والدولة ...ألخ وقد استعمل مفهوم التطور الاجتماعي بشكل واسع في العلوم الاجتماعية وفي علم الاجتماع بشكل خاص في وصف التحولات التي طرأت على المجتمع الذي شبه الكائن الحي ، كما جاء عند المفكر "هربرث سبنسر" الذي يشير إلى تطور المجتمع على غرار تطور الكائن العضوي ، حيث عرّف التطور بأنه " انحدار سلالي معدل على نحو معين " ، أما " تايلور" فذهب إلى القول بأن التماثل الذي يسود في الجانب الأكبر من الحضارة يمكن إرجاعه إلى التأثير المتماثل للأسباب المتماثلة ، بينما نلاحظ من ناحية أخرى أن درجات التفاوت يمكن أن تعتبر مراحل للنمو أو التطور تمثل كل منها محصلة تراث سابقة وهي بصدد أداء دورها المناسب في تشكيل أحداث المستقبل[12] . وقد أشار العديد من المفكرين المحدثين على الفروق القائمة بين النظرية البيولوجية والنظريات المختلفة في التطور الاجتماعي. وبالتالي فكرة التطور سيطرت على مختلف مجالات الفكر ، وغيرت أنماط التفكير السائدة حينذاك وهدمت الكثير من الأفكار والمعتقدات والفلسفات ، كما أصبحت أسلوبا في فهم الإنسان والمجتمع عن طريق ما يعرف باسم " المماثلة البيولوجية".

أما " ويليام أوجبرن" فقد بين أن " المحاولات المبذولة للكشف عن قوانين الوراثة والتنوع والانتخاب في تطور النظم الاجتماعية ، لم يفسر إلا القليل من النتائج الحيوية والهامة" .[13] ومنه يمكن حصر مفهوم التطور الاجتماعي في التحول المنظم من أشكال الأبنية الاجتماعية البسيطة إلى الأشكال الأكثر تعقيدا ، اعتمادا على المماثلة العضوية التي شبه بها المفكرين الاجتماعيين التطور في الحياة الاجتماعية بالتطور البيولوجي للكائنات الحية.ونجد من خلال التراث السوسيولوجي في العلوم الاجتماعية أفكار المفكر " كوندورسييه" الذي اعتبر التطور مرحلة ضرورية وعملية مستمرة ، وان الحياة الاجتماعية قد تطورت من مرحلة الصيد ثم الرعي والزراعة ، تليها مرحلة العلوم والفلسفة اليونانية ، ومرحلة الحضارة الرومانية ، ثم مرحلة الجمود العلمي ، ثم مرحلة اختراع الطباعة ، ثم تأتي مرحلة التحرر الفكري والإصلاح الديني ، بعدها مرحلة الثورة الفرنسية1789 وأخيرا المرحلة التي تحقق السعادة للجميع.[14]

إن هذه المراحل التي ذكرها " كوندورسييه " ليست بالضرورة هي المراحل التي مرت بها كل المجتمعات ، وبالتالي لا نستطيع اعتبار أن التطور يسير وفق هذه المراحل ، وبالنسبة

---

[12]- Mitchell G . Duncan: A dictionary of sociology. lontdlege & kegan. paul. london 1968 ، نفس المرجع، نقلا عن

[13]- محمد علي محمد وآخرون، **دراسات في التغير الاجتماعي**، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية ، مصر، 1974، ص 35

[14]- محمد عمر الطنوبي، **التغير الاجتماعي**، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1996، ص ص 86، 87

للمرحلة الأخيرة والتي فيها تكون السعادة للجميع الواقع ينفي ذلك لأن الكثير من المجتمعات تعرف مشاكل الاجتماعية متعددة وانقسامات طبقية واضحة ، كما تظهر فيها الحروب والصراعات ، وحتى بعض المجتمعات المتقدمة والتي تشهد تطورا بارزا في النواحي المعيشية والمادية والتقنية والعلمية . إلا أنها فقدت الكثير من القيم الروحية والإنسانية أ فأصبحت تسود فيها قيم الأنانية والانتهازية والفردانية والظلم والسيطرة العرقية والإثنية ...إلخ ومنه نستنتج بأن التطور الاجتماعي كغيره من المفاهيم عرف جملة من التغيرات والتحولات بسبب تحول المجتمع ، وبالتالي يعتبر مفهوم التغير هو أنسب المفاهيم التي تدقق في صيرورة واقع المجتمعات وهو أكثر واقعية من مفهوم التطور الاجتماعي .

ج- التغير الاجتماعي والنمو الاجتماعي:

يعني مصطلح النمو أنه عملية النضج التدريجي والمستمر للكائن وزيادة حجمه الكلي أو أجزائه في سلسلة من المراحل الطبيعية ، كما يشير إلى نوع معين من التغير وهو التغير الكمي ، ومن أمثلة التغيرات الكمية التي يعبر عنها مفهوم النمو التغيرات التي تطرأ على حجم السكان وكثافتهم ، والتغيرات في أعداد المواليد والوفيات، ومعدلات الخصوبة في أنواع الإنتاج المختلفة كالتغير في الإنتاج الزراعي والصناعي . وتشترك كل هذه التغيرات في أنه يمكن قياسها كميا، ولذلك فإن مفهوم النمو أكثر انتشارا في الدراسات السكانية والاقتصادية[15].

إن مفهوم النمو يرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم التغير ، ذلك أن التغير الاجتماعي لها جوانب عديدة ، ومن أمثلة هذه الجوانب نجد الجوانب الكمية التي يمكن أن تقاس من خلال معدلات النمو التي تعتبر إحدى أهم المؤشرات الهامة للتغير الاجتماعي ، فالتغير في حجم السكان أو في تركيبتهم سواء كان التركيب النوعي أو المهني أو في حجم الناتج القومي والوطني يمكن أن تعد مؤشرات للتغير الاجتماعي ، ولكن وجود هذه المؤشرات وغيرها لا يعبر عن كل جوانب التغير الاجتماعي ، فدراسة التغير الاجتماعي تحتاج إلى بيانات أكثر تفصيلا حول التغيرات الكيفية في العلاقات الاجتماعية وفي الثقافة وحتى القيم.

---

[15]- دلال ملحس استيتية، **التغير الاجتماعي والثقافي**، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان ، الأردن، 2004،ص 38

ويتضمن مصطلح النمو كافة أشكال النمو سواء كانت في الكفاية أم في التعقيد أم في القيمة ، وينطبق ذلك على الأفراد كما ينطبق على الجماعات .[16]

إن مفهوم النمو يقترب من مفهوم التطور ، ولكنه لا يتطابق معه، وحينما تضاف كلمة اجتماعي إلى النمو يصبح " النمو الاجتماعي" أي الذي يتعلق بالمجتمع، فإنه يعني في هذه الحالة نمو السمات الفردية بما يتفق مع الأنماط الاجتماعية المقررة ، والبيئة الاجتماعية من ناحية عامة.

لقد بيّن " هربرث سبنسر" أن النمو ظاهرة مشتركة بين المجتمعات والأجسام العضوية فالتجمعات السكانية يكون نموها بزيادة عدد أفرادها - حجمها- وكذلك نمو الأجسام الحية التي تكبر خلال فترة معينة من الزمن وتتوقف في فترة أخرى ، وان النمو الاجتماعي يبقى مستمرا إلى أن تنقسم المجتمعات أو يقضى عليها.[17]

إن النمو يسير في خط مستقيم ، بحيث يمكن التنبؤ بما سيؤول إليه ، أما التغير فلا يكون سيره مستقيما باستمرار ، وقد تعددت النظرة الاجتماعية نحو اتجاهه. والتغير قد يكون إلى الأمام فيؤدي إلى التقدم ، كما قد يكون إلى الوراء فيؤدي إلى التخلف.

ويظهر الاختلاف واضحا بين النمو والتغير الاجتماعي وفي الدراسات السوسيولوجية والإنسانية يهتم الباحثون بمصطلح التغير الاجتماعي لأنه يعبر عن حقائق ديناميكية للمجتمعات أ لفظ النمو فيدخل في نطاق الدراسات البيولوجية والاقتصادية نظرا لطبيعة عملية النمو وخصائصها.

ثانيا – آليات ومصادر التغير الإجتماعي:

إن التغير الإجتماعي هو كل تغير يحدث في المجتمع ويصيب البناء الإجتماعي، النظام والنسق الإجتماعي في زمن معين وفي رقعة جغرافية محددة ، ويستدعي حدوث التغير الإجتماعي مجموعة من المصادر تتمثل في :

أ-المصادر الداخلية:

تكون هذه المصادر نابعة من داخل المجتمع كعامل الإرادة، والذكاء والبيئة الطبيغية والفيزيقية وما تحوزه الأرض من خيرات ومعادن وطاقة. كما تُؤدي الإختراعات والإبتكارات، وعوامل التحديث والتجديد، ومختلف التفاعلات داخل المجتمع الى التغير

---

[16]- المرجع نفسه، ص 39

[17]- إتزيوني، **التغير الاجتماعي، نقلا عن** دلال ملحس استيتية، **التغير الاجتماعي والثقافي**، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان ، الأردن، 2004،ص 40

الإجتماعي فتجعل المجتمع يتغير من صورة المحلية إلى المجتمعية، ثم العالمية . وتلعب المصادر الداخلية دورا بارزا في تحديد وجهة التغير الإجتماعي.كاختراع آلة البخارية من طرف جيمس واط واختراع الطباعة والكتابة في مصر القديمة أو اكتشاف القارات وأمريكا وغيرها من أحداث عالمية.

ب-المصادر الخارجية:

وهي كل العوامل التي تنبع من خارج المجتمع، نتيجة اتصاله، أو تثاقفه أو التقاء الأفراد مع باقي المجتمعات الأخرى، أو تكون تلك العوامل الخارجية بسبب أزمات الغزو الحروب أو بفعل المحركات الخارجية والعالمية الكبرى كالأزمات العالمية والحربين 1 و2 العالميتين وازهيار اسعار البترول، وغيرها من الأحداث التي تساعد على انتشار، وحدوث التغير الإجتماعي سواء كان هذا الإنتشار سريعا، بطيئ أو مفاجئ.

المحور الثاني- نظريات التغير الاجتماعي:

أولا- النظريات الحتمية في التغير الاجتماعي:

إن النظريات الحتمية هي تلك النظريات التي تركز في دراستها للتغير الاجتماعي على عامل واحد فحسب ، وتفترض كل نظرية من هذه النظريات أن عاملا واحدا كالاقتصاد أو المناخ أو غيرها هو العامل الوحيد الذي يحرك كل العوامل الأخرى، ولذلك فإن هذه النظريات توصف بأنها نظريات اختزالية أي أنها تختزل كل تلك العوامل في عامل واحد ، وتعتبر أن هذا العامل هو العامل الكافي وحده لحدوث التغير، ويكمن هذا المعنى في مفهوم الحتمية.[18]

ولذلك فإن الحتمية تفترض أن الأمور محددة سلفا ، وان المهمة الملقاة على عاتق الباحث هي اكتشاف جملة الشروط المسبقة التي تعين حدوث ظاهرة من الظواهر، وعندما استخدمت الكلمة في التراث السوسيولوجي ، فإنها أصبحت تعني البحث عن السبب الوحيد ، الأصل الكامن خلف حدوث كل الظواهر ، أو الذي ترتبط به كل المتغيرات كمتغيرات تابعة بالضرورة.

---

[18]- محمد عبد المولى الدقس، **التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ،1987، ص 215

وقد انتشرت الحتميات في كافة فروع العلوم السياسية والاجتماعية في المراحل المبكرة لنشأة هذا العلم ، وقد جاءت في معظمها متأثرة بعلوم أخرى ، فأنصار الحتمية الجغرافية تأثروا بالجغرافيا ، بل آن معظمهم كان من الجغرافيين، والذين ناصروا الحتمية البيولوجية تأثروا بالعلوم البيولوجية والطبيعية، وبنظرية التطور البيولوجي، وكان معظمهم من البيولوجيين.[19] ولقد انقرضت هذه الحتميات من التفكير العلمي نتيجة لاتساع دائرة العلوم والتخصص الذي زامن العصر الحالي لذلك سنتطرق إلى بعض من هذه النظريات على النحو التالي:

أ-نظرية الحتمية الجغرافية

هناك اعتقاد قديم بان ثمة علاقة بين طبيعة الطقس الذي يعيش فيه الإنسان باردا أم حارا أم معتدلا- وبين طابعه الاجتماعي(من حدّة المزاج أو أريحيته ومن حيث الانبساط أو الانطواء وغير ذلك من سمات الطبع الاجتماعي) . ولقد تأثر المنظرون الاجتماعيون الأوائل بهذا الاعتقاد، وحاولوا من خلاله أن يميزوا أوجه التشابه والاختلاف بين البشر. وكانت النتيجة نظرية شاملة في الحتمية الجغرافية، وبالرغم من أن فكرة الحتمية الجغرافية فكرة قديمة إلا أنها شاعت من خلال استخدام عدد من المفكرين لها في تفسير نشأة المجتمعات وتغييرها، ومن أشهر هؤلاء الجغرافي الأمريكي "هنتجتون" الذي استخدم سنة1965 مفهوم الحتمية الجغرافية لا في تفسير تغير الاختلاف بين البشر فحسب، ولكن في تفسير تغير المجتمعات ، فقد ذهب إلى القول بانه إذا كانت الظروف الجغرافية هي التي تحدد صفات الناس وسلوكهم ، فإن هذه الصفات وذلك السلوك لن يتغير إلا إذا تغيرت الظروف الجغرافية ، وفي ضوء هذه الفرضية فسر " هنتجتون" ظهور الحضارات وسقوطها. فقد ازدهرت حضارة وادي النيل نظرا لتوفر ظروف جغرافية خاصة في ملائمة الطقس والتربة ونوعية المحاصيل، وانقرضت هذه الحضارة بفعل تغيرات جغرافية أيضا بعد ارتفاع درجة الحرارة في وادي النيل وما ترتب عليها من جفاف التربة الأمر الذي خلق ظروفا لا يمكن أن تحافظ على ثمار الحضارة.

وفي الوقت الذي كانت تتدهور فيه الحضارة هنا وكانت ظروف جغرافية أخرى تهيئ نشأة الحضارة في مكان آخر. وهكذا تغير مركز الحضارة من بلاد الرافدين إلى كريت إلى اليونان، فالرومان، فاسطمبول، فأوربا الحديثة. ولكي يدّل " هنتجتون" على صحة نظريته قدم شواهد من التغيرات الجغرافية التي حدثت في حوض البحر المتوسط خلال الثلاثة آلاف عام الماضية.[20] إلا ان عبد الرحمن ابن خلدون العربي قد سبقه في ذلك منذ القرن

---

[19]- دلال ملحس استيتية،مرجع سابق، ص 120

[20]- هنتجتون، **صدام الحضارات**، نقلا عن دلال ملحس استيتية، مرجع سبق ذكره، ص ص ،120 ، 121

الرابع عشر، عندما أشار إلى تأثير الإقليم في اللغة والجسد واللون وبالتالي في التغير الاجتماعي فيما بعد على الدولة والمجتمع والحضارة.

ب-نظرية الحتمية البيولوجية:

تتأسس الحتمية البيولوجية على فرضية مؤداها أن الناس في العالم ينقسمون إلى أجناس، وجماعات متميزة بيولوجيا، وأن الأجناس تختلف في قدرتها على تطوير الحياة الاجتماعية وتنميتها، وان نوعية الحياة لدى شعب من الشعوب هي مؤشر على قدراتها البيولوجية - العرقية- وفي ضوء ذلك تتبلور الفروق بين الشعوب، كما تفسر التغيرات الاجتماعية التي تظهر لدى هذه الشعوب، سواء التغيرات السلبية (المرتبطة بالتخلف أو التقهقر الحضاري)، أو التغيرات الإيجابية التي تفسر بظهور أشكال من التفوق الكامل في شعب من الشعوب.

وتقوم الحتمية البيولوجية على فرضية سادت في مجتمعات قديمة منذ القدم، وهي تلك الخاصة بتفوق طبقات داخل المجتمع، على طبقات أخرى، وارتباط هذا التفوق بالخصائص البيولوجية.

وقد أشار العلامة ابن خلدون في مقدمته إلى تأثير البيئة على الطبيعة البيولوجية للأفراد حيث قال" ...وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم من أهل القفار أحسن حالا في جسومهم وأخلاقهم من أهل التلول المنغمسين في العيش فالوانهم أصفى وأبدانهم أنقى وأشكالهم أتم وأحسن وأخلاقهم أبعد عن الإنحراف وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراكات"[21].

ولقد ظهرت هذه الفكرة في كثير من الحضارات القديمة، وتبلورت بشكل حاد في الحضارة اليونانية التي ظهر فيها الاعتقاد بان هناك أناس ولدوا ليحكموا وآخرين ولدوا كرعية . ولقد تطورت فكرة ارتباط الطبقات المختلفة بخصائص بيولوجية مختلفة، تطورت لتعمم على الفروق بين المجتمعات. ولقد لعب "دي جوبيون "دورا في ترويج هذه الفكرة من خلال بحثه عن تفاوت السلالات البشرية الذي ربط فيه بين تفوق شعب من الشعوب أو انحطاطه وبين خصائصه العرقية، والذي شن فيه حربا شعواء على الاشتراكية لمحاولتها إيجاد نوعا من المساواة بين البشر ومنذ ذلك الحين أصبح أنصار الحتمية البيولوجية يؤيدون الرأي الذي يفسر كافة أشكال التباين والتغير في المجتمعات من خلال المتغيرات البيولوجية، ومن المتغيرات البيولوجية التي يتم التركيز عليها في هذا الصدد المتغيرات التالية:

---

[21] عبد الرحمان ابن خلدون، **مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص 71

1- اثر التفاوت الوراثي على التغير الاجتماعي .

2- اثر التفاوت بين الأفراد في الذكاء والإمكانات الجسمية والنفسية المختلفة(دور الزعامة الكارزمية).

3- أثر البيئة الصحية العامة لشعب من الشعوب على تطوره ونموه الاقتصادي والاجتماعي.

4- أثر الانتخاب الطبيعي والاصطناعي على الأشكال المختلفة لهرم السكان(نسبة عدد الذكور إلى عدد الإناث ، نسبة المواليد إلى الوفيات، نسبة الكبار إلى الصغار).

وبالرغم أن النظريات الحتمية سادت في مرحلة من مراحل تطور التفكير العلمي وبالرغم من ظهور أنصار لها هنا وهناك في العصر الحديث، إلا أن التفكير العلمي المعاصر يميل إلى رفض هذه الحتميات لأسباب عديدة كونها أحادية النظرة ومتحيزة تميل إلى تبرير أفكار بعينها كتفوق شعب من الشعوب أو سيطرة من شعب من الشعوب على شعب آخر. كما أن النظريات الحتمية أدت إلى كثير من الصراعات بين الشعوب ، فويلات الحرب العالمية الثانية لم تنتج إلا من الإحساس بالتفوق العرقي من جانب الألمان.[22]

ثانيا- النظريات التطورية في التغير الاجتماعي:

أ- النظرية التطورية:

لاقت النظريات أحادية العامل، انتشارا واسعا في انجلترا إبان القرن التاسع عشر، ومن بين هذه النظريات التطورية التي تذهب إلى أن مجرى التاريخ هو حركة نحو أشكال وصور، فهو حركة من الهمجية التي تمثلها المجتمعات السابقة على الكتابة، إلى المجتمعات المتحضرة التي تمثلها انجلترا أثناء العصر الفيكتوري. وقد خدمت هذه النظرية الأهداف الاستعمارية ، وأعطت مبررا لاحتلال المستعمرات واستغلالها، على أساس أن الدولة الاستعمارية أرقى وأكثر تطورا من المستعمرات.[23]

وتستند النظرية التطورية إلى أن الصراع الطبقي داخل المجتمع إذا وجد فإن الثورة لن تكتمل إلا إذا تم القضاء على الطبقة السائدة، وقد انتقد " سكوبول" نظرية " كارل ماركس" في ضوء الوقائع الفعلية ، فإن معظم الثورات الحديثة لم تتم في بلدان رأسمالية صناعية،

---

[22]- دلال ملحس استستية،مرجع سبق ذكره،ص 122

[23]- بيث هس وآخرون، **علم الاجتماع**، ترجمة محمد مصطفى الشعبيني، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 669،دت

كما تنبأ بذلك " ماركس" . فقد قامت العديد من الثورات المعاصرة في مجتمعات زراعية بتأثير قوى اقتصادية خارجية أو بانقلاب عسكري ، هذا بالإضافة إلى أن المشكلات الداخلية التي أدت إلى هذه الثورات كانت معظمها مشكلات سياسية تنجم عن الصراع بين القوى السياسية في المجتمع ، أكثر منها مشكلات اقتصادية ناتجة عن الصراع الطبقي، وفي هذه الحالة ، فإن جموع " العمال المطحونة" كما ذهب إلى ذلك " ماركس" . وأخيرا فإن التغيرات لن تشمل النظام الطبقي بقد ما تشمل النظام السياسي القائم.[24]

وتقوم التطورية الحديثة كما عرضها" لنسكي" سنة 1960 و " سرفيس" سنة 1963على أربعة فروض أساسية هي:

1- أن نمط الإعاشة مسالة أساسية.

2- أن التغيرات التكنولوجية تؤدي إلى توافقات جديدة تدعم التزايد السكاني.

3- إن تزايد الكثافة السكانية يؤدي إلى التخصص والتنسيق في الأعمال.

4- إن الحاجة إلى إقرار النظام بين الطوائف المختلفة من العاملين والعمال يؤدي إلى إيجاد تنظيمات أكثر تعقيدا، كما يؤدي إلى انبثاق عديد من الأوجه التنظيمية.

ويمكن القول أن أنماط الإعاشة تؤدي إلى تغيرات سكانية وأن التغيرات السكانية تؤدي إلى زيادة التخصص في الأعمال، وهي تؤدي بدورها إلى ظهور الأوجه التنظيمية المختلفة.[25]

ب- النظرية الدائرية في التغير الاجتماعي:

تشبه بعض هذه النظريات القافات بالكائنات الحية، من حيث مرورها بمراحل من النمو، تولد وتشب ثم تضمحل وتموت ، فتتفق هذه النظريات مع الاتجاهات العقلية التي سادت الثقافة الغربية في أوائل القرن العشرين، التي اهتمت بالوظائف الحيوية لمختلف فروع المعرفة. كما تتفق هذه النظريات أيضا مع الإحساس بتدهور الحضارة الغربية وانحطاطها بعد التقدم والازدهار، وهذا ما عبّر عنه الفيلسوف الألماني " اشبنجلر" في كتابه الشهير عام 1928 " انحدار الغرب وسقوطه" ، ويعتبر المفكر الإيطالي فيكو من أبرز مفكري القرنين السابع والثامن عشر ، وقد صاغ نظرية دائرية في تطور المجتمعات مؤداها أن المجتمع الإنساني يمر بثلاث مراحل هي- [26] :

---

[24]- بيث هس وآخرون، المرجع السابق، ص 669

[25]- المرجع السابق ، ص 671

[26]- دلال ملحس استيتية، مرجع سابق ، ص ص 128، 129

-المرحلة الدينية: وفيها يرجع الناس كل شيئ للآلهة.

-المرحلة البطولية: وفيها يرجع الناس كل إلى العظماء والأبطال.

- المرحلة الإنسانية: وفيها أصبحت الجماهير أو الشعوب هي المحرك الحقيقي لكل شيئ.

ومن بين النظريات الدائرية الأخرى في التغير ، النظرية التي تبناها عالم الاجتماع " سوروكين" سنة 1941 فيذهب إلى أن التاريخ الإنساني يتجه نحو التقدم المطرد مع حدوث فترات من التذبذب المنتظم، فهو يتأرجح بين العقلانية والنظام من ناحية، وبين المثالية والتسيب من ناحية أخرى.

وبالرغم مما لاقته النظريات السابقة من ذيوع وانتشار فإن ذلك لم يستمر طويلا، وإن النظريتين اللتين حضيتا بأكبر قدر من اهتمام علماء الاجتماع المعاصرين هما النظرية الوظيفية ونظرية الصراع.

ج- نظرية الصراع في التغير الاجتماعي :

يذهب " كارل ماركس" إلى أن الجماعات المتنافسة في المجتمع الصناعي طبقات اجتماعية تعرف على أساس علاقات الإنتاج. بمعنى أنها تتكون ممن يملكون وسائل الإنتاج، وهؤلاء الذين يبيعون عملهم. ويعتقد " ماركس" أن الماركسية تنظر إلى الحياة على أنها دائبة الحركة، وتمثل حركتها شكلا خاصا من أشكال حركة المادة.[27] وأن ظروف العمل في المجتمع الصناعي الحديث ستكون شديدة الاغتراب ، بحيث تجعل العمال يثورون على أصحاب رؤوس الأموال، ولكن الأمور لم تجر وفق ما ذهب إليه " ماركس" فلم تقم الطبقات العاملة في أنحاء العالم بالثورات التي تنبأ بها ، بل إن العكس هو الصحيح تماما ، فقد حصل " رونالد ريجان" وهو المرشح الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمصالح الرأسمالية على أكثر من نصف أصوات الطبقة العاملة، في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 1980 والأكثر من هذا، أن العمال في بولندا الشيوعية لديهم شعور طبقي أكثر مما يوجد لدى عمال أمريكا الشمالية الرأسمالية، ويضيقون أشد الضيق بالملاك الحاليين لوسائل الإنتاج ، الذين يشكلون الحزب الشيوعي البولندي.

إن ماركس ينظر إلى التغير على أنه عملية جدلية . ففي وقت معين ، تكون أجزاء النسق الاجتماعي في حالة توازن وداخل هذا التوازن تظهر بعض العناصر المتنافسة أو غير المتجانسة، وتأخذ في الصراع مع غيرها من العناصر، وتسمى هذه القوى المتنافسة والمتصارعة " الفكرة المضادة" ، ولما كان انعدام المساواة هو أحد الملامح المميزة

---

[27]- المرجع السابق ، ص 145

للأنساق الاجتماعية في الماضي والحاضر ، فإن الحركات المضادة تعد حقيقة اجتماعية قائمة أبدا. ومن الصراع بين الحركة والحركة المضادة ينبثق نظام جديد فالتاريخ الإنساني كله في نظر ماركس حركة جدلية : نسق اجتماعي، قوى متعارضة، نظام اجتماعي جديد، وتتكرر هذه العملية طوال التاريخ الإنساني . وتتمخض هذه العملية الجدلية عن تغير اجتماعي ، قد يكون تدريجيا ، وقد يكون مفاجئا . ولكنه يكون في جميع الأحوال نتاج صراع طبقي. وتحدث حركة المجتمع والتغير الاجتماعي في تتابع مستمر : نظم اقتصادية- تستمر فترة- تحل محلها نظم اقتصادية جديدة ، وهكذا دواليك. ويرى" ماركس" أنه سيأتي اليوم الذي تنتهي فيه هذه الحركة الجدلية عندما تصل إلى الصيرورة النهائية وذلك عندما يتساوى العمال والملاك ، ويصبح الجميع طبقة واحدة، وهذا هو ما يطلق عليه اسم " المجتمع الشيوعي".

د- النظرية التوفيقية في التغير الاجتماعي:

لكي توفق المجتمعات المتغيرة بين كل من النموذج التطوري الجديد والنموذج الصراعي فيما يتعلق بالتغير الاجتماعي، فإنه يمكن القول إن أفضل تفسير للتغير العام هو الذي يقوم على أساس التحول في القاعدة الاقتصادية للمجتمع ، ومن هنا فإن المجتمعات التي لا تمر بتحولات في أنماط الإعاشة ، لن تتغير، إلا إذا تعرضت للغزو. وعندما يحدث تحول في نمط المعيشة في مجتمع معين، فإن ذلك سوف يؤثر في مختلف الأنماط الاجتماعية فيه، ويتباين توافق المجتمعات مع ما يحدث من تغيرات ، ويكون بعضها أكثر خطأ من البعض الآخر بهذا الصدد ، فيتوافق مع الظروف الجديدة ، وينمي نظما أكثر تعقيدا تتناسب معها، مستفيدا ما أمكن من الخبرات والتوافقات السابقة. ونستطيع تحليل التغير في أي مجتمع من المجتمعات على ضوء المصالح الطبقية فيه. فإن مخرجات أي موقف صراعي ، تتوقف على قوة الأطراف الداخلة فيه. وعلى مصلحتها في الإبقاء عليه أو التخلص منه. وبما ان الصفوة المتحكمة غالبا ما تكون أقوى من المعترضين ، فغالبا ما يتم قمع أي تغير سريع أ جدري. وغن كان ذلك لا يمنع حدوث تغير تدريجي داخل المجتمع، يتمخض بعد فترة طويلة عن تحولا رئيسية في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع.[28]

ويحاول علماء الاجتماع استشفاف آفاق المستقبل، ومحاولة التنبؤ بتأثير التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية على أنماط العلاقات الاجتماعية فقد لاحظوا زيادة الطموحات والتطلعات . وتتوقف نتائج هذه الطموحات على الإمكانات المتوفرة لتحقيقها.

المحور الثالث- عوامل التغير الاجتماعي:

---

[28]- بيث هس وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 677

مدخل:

إن عوامل التغير الاجتماعي متداخلة ومتشعبة ، ومرتبطة مع بعضها البعض وتتأثر ببعضها البعض أيضا. وهي مختلفة من مجتمع لأخر، ومن بلد لأخر حسب درجة تقدم المجتمع وتطوره وتظهر على النحو التالي:

أولا-عامل الإرادة في التغير الاجتماعي:

تعتبر إرادة التغيير لدى الشعوب من أهم عوامل التغير الاجتماعي، فهناك تغير تلقائي يمر به المجتمع متأثرا بقوانين التطور الاجتماعي. ولكن هذه القوانين لا تستطيع أن تمارس دورها إلا بواسطة الإنسان. ويتدخل الإنسان بفكره التقدمي الذي ينفذ بأسلوب علمي لدراسة جذور المشكلات التي تواجهها الجماهير ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها مستفيدا من تراث الفكر الإنساني لمواجهة مشكلات الجماهير والعمل على إشباع احتياجاتها ورغباتها والأفكار التي ينتجها العقل الإنساني لا بد وأن تكون ذات صلة وثيقة بمرحلة التطور التي تظهر خلالها.[29]

ومن هنا تلعب الأفكار التي تتبناها الجماهير دورا هاما في تطور المجتمع من مرحلة إلى أخرى من مراحل التقدم. وينتج عن تدخل الإنسان بفكره العلمي التقدمي ظهور خطط التغيير المقصودة طبقا لإرادة التغيير لدى الشعوب ولصالحها، ومما لا شك فيها أن التغير التلقائي يتأثر بالتغيير المقصود ويؤثر فيه ويستلزم ذلك تحديد التغير التلقائي ومدى تفاعله مع التغير المقصود كي يمكن السيطرة عليه وتوجيهه لصالح الشعوب طبقا لإرادتها في التغيير.

ثانيا-عامل القيادة في التغيّر:

تلعب القيادة دورا هاما في عملية التطور والقيادة ليست صدفة ولكنها ضرورة اجتماعية وعملية تاريخية ، ويتصف القائد برؤيا أكثر عمقا وبعدا وأكثر صوابا من رؤيا عامة الجماهير وهو أكثر وعيا بحركة التطور وأكثر عمقا في تحليله لاحتياجات الجماهير في كل الظروف الموضوعية وبقد ما يزداد نصيب القائد من هذه الصفات والقدرات والمزايا بقدر ما تسرع حركة التطور ، وبقد ما يقل حظه منها بقدر ما يبطئ التطور ويتعثر. ويؤثر القائد على سير الحوادث لا عن طريق قدراته الفردية وحدها بل عن طريق استخدام هذه القدرات في تحليل الأوضاع الاجتماعية وتوضيح الخط الذي تسلكه الجماهير بقدراته وقدرات

---

[29]- عبد العزيز عبد الله مختار، **التخطيط لتنمية المجتمع**، دار المعرفة الجامعية،دط، الأزاريطة، الإسكندرية، مصر، 1995، ص 83

الجماهير مجتمعة. ويصبح للجماهير مجتمعة التأثير في سير الحوادث لإحداث التطور والتغيير.[30]

ثالثا- عامل الإنتاج والصناعة في التغيّر:

تعتبر عملية الإنتاج من أهم عوامل التطور لأنها تلعب دورا هاما وأساسيا في تطور المجتمع ، فالعمل هو أساس الحياة بل هو أمر حتمي بالنسبة للإنسان وبدونه تتوقف الحياة ويفنى المجتمع ويحتك الإنسان احتكاكا مباشرا بالطبيعة في عملية الإنتاج ، فيطور أدوات الإنتاج ويخضع خامات الطبيعة للأدوات لينتج من لقائهما شيئا جديدا فعملية الإنتاج في أي مرحلة من مراحل التطور عملية اجتماعية تصل الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل والناس في عملية الإنتاج مرتبطين ببعضهم البعض وعمل كل منهم جزء من عمل المجتمع ككل.

وقد أدى استخدام الآلات واتساع نطاق الصناعة إلى تغييرات أخرى كان لكثير منها رد فعل سليم. ومن أهم هذه التغيرات قياس النجاح بمقدار الثروة واعتبار الكم أكثر من الكيف وتفكك وحدة الحياة الاجتماعية. ولكن يجب أن نعلم أن الحضارة تحاول توجيه المدينة التكنولوجية إلى خدمة أغراضها، ومع أن الإنسان قد أصبح عبدا للآلة فإنه يستطيع أيضا أن يكون سيدا لها ويوجهها في المفيد من الأعمال. وقد ازدادت أوقات الفراغ والترويج عند العمال، فإذا استفادوا منها في تثقيف عقولهم ورياضة أجسامهم وتهذيب نفوسهم كان وقت الفراغ مفيدا. أما إذا لم تستثمر أوقات الفراغ استثمارا جيدا فإنها تجني على المجتمع وتفسد العلاقات الإنسانية فيه. وفي كلتا الحالتين تؤدي أوقات الفراغ إلى تغيير في العلاقات الإنسانية وأنماط السلوك الاجتماعي.[31]

رابعا- **عامل الطبيعية في التغيّر:**

يحاول الإنسان أينما وجد أن يعيش في سلام مع الطبيعة فهو يصلح التربة لزراعتها ويحضر الترع والقنوات ليروي زراعته وحصاده ويبحث عن المعادن في باطن الأرض ، ويقيم السدود على الأنهار لينظّم فيضاناتها. كل ذلك تغيير يحدثه الإنسان في بيئته الطبيعية، ويقابله تغير في علاقة الأفراد بعضهم ببعض. ذلك أن الإنسان لا يستطيع العمل من اجل تغيير معالم بيئته الطبيعية، دون قيامه بإجراء سلسلة من العلاقات الإنسانية القائمة على مبدأ التفاعل والتعاون، وحيث أن الإنسان ما زال يبتدع الوسائل ، ويستحدث الأدوات التي تعينه على توثيق صلته ببيئته الطبيعية، فغن التغيرات الطبيعية والاجتماعية كثيرة تطرأ على

---

[30]- عبد العزيز عبد الله مختار، مرجع نفسه ، ص 84

[31]- إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد ، **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن،2005، ص 280

مجتمعه وتتعلق بأساليب المعيشة وعلاقات الأفراد وأنشطة الجماعات وأهداف المجتمعات المحلية والوسائل التي تعتمدها في تحقيق أهدافها.[32]

غير أن الطبيعة قد تثور من وقت إلى آخر فتهب الأعاصير والعواصف وتفيض الأنهار وتحدث الزلازل والبراكين. ويؤثر هذا العنف على حياة الإنسان ولا يتركه يهدأ ويستقر، بل يدفعه إلى العمل في مغالبتها واتقاء قسوتها بما يحدثه من تغيير وتكييف لحياته، وقد يهمل الإنسان استثمار مصادر الطبيعة كالتربة مثلا، فتفقد خصوبتها، وعندئذ تنحسر الحياة عنها ويهجرها ساكنوها إلى بيئة أخرى فيواجهون ظروفا جديدة تتطلب أوضاعا اجتماعية ملائمة وتكييفا خاصا، تنشأ بسبب ذلك تغيرات تتناول نوع العمل وطرق التفكير ووسائل الإنتاج وتجد هذه التغيرات صدى قويا في المجتمع كله.[33]

خامسا- العامل الديموغرافي في التغّير:

تعتبر الديموغرافيا دراسة السكان من حيث الحجم والتركيب والتوزيع وأسباب ونتائج التغيرات في تلك الخصائص. [34]

و تتمتع بعض المجتمعات ببيئات جغرافية مناسبة أو متقاربة وتتوافر على ثروات طبيعية تكاد تكون متماثلة ولكننا نجد أن بعض تلك المجتمعات تتميز عن غيرها من الناحية السكانية، ويرجع السبب في ذلك غالبا إلى اختلاف التركيب السكاني في مجتمع عنه في الآخر. إذ أن التركيب الديموغرافي عامل هام في التغيير الاجتماعي ومما لا شك فيه أن تطور المجتمع يتأثر بنوعية سكانه وتكوينهم وقدراتهم وخبراتهم ومستوى تعليمهم ، وحالتهم الصحية ، وعاداتهم، وتقاليدهم وفهمهم واتجاهاتهم وغير ذلك من الظروف والمؤشرات التي يتميز بها التركيب السكاني في مجتمع معين فبينما نجد مجتمعات تعاني من زيادة سكانها بالنسبة لمواردها الطبيعية وإمكانياتها نجد البعض الآخر يعاني من قلة عدد السكان بالنسبة لتلك الموارد. كذلك يختلف التركيب السكاني للمجتمعات من حيث السن، والجنس، المستويات الصحية والتعليمية، ومدى توافر الخبرات والكفاءات العلمية والفنية والسياسية. ويختلف التوزيع السكاني من مجتمع لآخر، ففي بعض المجتمعات يتمركز غالبية السكان في الريف بينما يوجد التمركز السكاني في المدن في بعض المجتمعات الأخرى ، كذلك يختلف توزيع القوى العاملة على القطاعات المختلفة فتختلف

---

[32]- إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، مرجع نفسه، ص 278

[33]- المرجع السابق، ص 278

[34]- مصطفى خلف عبد الجواد، **علم اجتماع السكان**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 14

نسبة من يحترف الزراعة أو الصناعة أو الصيد أو الخدمات من مجتمع إلى آخر ولهذه الفروق في التركيب السكاني أثر كبير في درجة نمو المجتمعات.[35]

المحور الرابع- مصادر التغير الاجتماعي:

إن مصادر التغير الاجتماعي تختلف اختلافا جوهريا في مضمونها بين المصادر الداخلية والخارجية ، وتختلف أيضا حسب طبيعة التغير وحجمه. كما تختلف من منطقة جغرافية لأخرى وهذا راجع في الأساس لاختلاف التركيبة المجتمعية داخل كل مجتمع يمر بمرحلة التغير، وفي هذا الجزء سنتطرق إلى بعض مصادر التغّير الثقافي والاجتماعي وفق التالي :[36]

أولا- المصادر الخارجية للتغير

مدخل:

[35]- عبد العزير عبد الله مختار، مرجع سبق ذكره، ص ص 84، 85

[36]- هشام سبع، **مكانة المسن في الأسرة الجزائرية في ظل التغيرات الإجتماعية الراهنة** ، أطروحة دكتوراه في علم الإجتماع الديموغرافي، قسم علم الإجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة سطيف2، غير منشورة، 2016-2017، ص 112

توجد العديد من المصادر منها ما هو داخلي يؤثر تأثيرا مباشرا، ومنها ما هو خارجي يؤثر تأثيرا غير مباشر في عملية حدوث التغير الإجتماعي في أي مجتمع. وفي هذا المدخل سنحيط بمصادر التغير الخارجية في عملية الاجتماعي والثقافي وهي وفق الآتي :

أ- التغيرات البيئية والطبيعية:

توجد العديد من الأحداث الطبيعية التي يمكن أن تحدث اختلالا في التوازن بين السكان والبيئة التي يعيشون فيها، وذلك كالسيول والفيضانات، الأوبئة، الزلازل،والجفاف وغيرها، المر الذي يمكن أن يتمخض عن المجاعات، الهجرات، والتغير في أنماط المعيشة. ويتطلب كل تغير من هذه التغيرات محاولات جديدة للتوافق مع البيئة المادية والاجتماعية الجديدة، التي تقوم على أساس التوافقات السابقة.وتوجد أنواع أخرى من الكوارث يعد الإنسان وحده المسؤول عنها، مثل الحروب التي تهدر المصادر البشرية والمادية، ومثل تبديد المصادر الطبيعية، وسوء استخدام الأرض الزراعية ، أو انجراف التربة، أو عدم مراعاة القواعد الاقتصادية والفنية في صيد الأسماك والحيوان. ومن شان هذه التصرفات إحداث تغييرات في البيئة التي يعيش فيها الأفراد والجماعات.

ب- الغزو والحروب:

إن غزو الأراضي وأراضي الغير، والنزاعات الاستعمارية القديمة التي تمثلت في الاحتلال العسكري ، والاستعمار الحديث الذي تمثل في الغزو الاقتصادي ونهب ثروات الشعوب، يعد مصدرا أساسيا من مصادر التغير الاجتماعي. فالغزاة يحاولون فرض ثقافتهم ونظمهم الاجتماعية على الشعوب المغلوبة على أمرها، حتى اللغة الوطنية حلت محلها لغة المستعمرين، فأصبحت تضاهي اللغة الرسمية، كما نرى ذلك في عديد من المستعمرات الأوربية في إفريقيا وفي آسيا. هذا بالإضافة إلى عديد من التغيرات في النظم الاجتماعية كالنظام السياسي والنظام التربوي.وكثيرا ما يتسبب الغزو في فرار عديد من الجماعات والقبائل أمام جحافل الغزاة، واتخاذهم مواقع بعيدة، الأمر الذي ينجم عنه الكثير من التغير في حياتهم مثال ذلك ما حدث للقبائل الإفريقية في جنوب إفريقيا، والقبائل الفلبينية التي دفعت إلى الأحراش والغابات.[37]

ج- الاتصال الثقافي:

يحدث التغير الاجتماعي نتيجة الاتصال بين أفراد المجتمعات ، وقد يكون الاتصال عن طريق التجارة أو عن طريق الصيد أو الرعي، أو عن طريق الهجرات، وأيا ما كانت

---

[37]- هشام سبع ، المرجع السابق، ص 113

وسائل الاتصال، فإنها تتمخض عن تعلم طرق جديدة للتوافق مع البيئة ومواجهة متطلبات البقاء. ولا تقبل جميع المعارف الجديدة التي يتيحها الاتصال بالجماعات الأخرى ، فقد يقبل بعضها ولا يقبل البعض الآخر. ويتوقف ذلك على عديد من العوامل، من بينها تاريخ الثقافة المستقبلة، وقوة الثقافة الوافدة على فرض التغيير.

د- الانتشار الثقافي:

إن دراسة الثقافة و موضوع الإثنيات قطعة أساسية في دراسة تحول حقول معرفية متعددة، كالأنثروبولوجيا وعلم الإجتماع والعلاقات الدولية والنظم السياسية المقارنة.[38] الانتشار الثقافي هو العملية التي يتم بها انتشار بعض عناصر الثقافة من مجتمع معين إلى مجتمع آخر عن طريق الاتصال الثقافي، وبقبول بعض عناصر الثقافة ، لأن سمات ثقافة مجتمع معين لا تكون كلها مقبولة بالنسبة لمجتمع آخر، ومن ثم يقبل بعضها ويرفض البعض الآخر. ويمكن القول بوجه عام إن التكنولوجيا أو التقنيات المختلفة تكون أسرع انتشارا، في حين أن السمات غير المادية من الثقافة كالمعتقدات والقيم، يمكن أن ترفض كلية، أو يؤخذ ببعضها الذي لا يتعارض مع العقيدة الدينية بوجه خاص. كما أن بعض التقنيات قد يصعب انتشارها، أو تنتشر ببطء شديد ، إذا اتضح أنها سوف تحدث تغييرا جذريا في اقتصاديات المجتمع .

إن إدخال عنصر ثقافي جديد في مجتمع من المجتمعات ، يتمخض عن عديد من النتائج ، تكون أشبه بالمتوجات التي يحدثها إلقاء حجر في بركة ماء. إن أي تغّير رئيسي يلحق بنظام اجتماعي معين ، تتبعه سلسلة من التغيرات في النظم والعلاقات الاجتماعية الأخرى التي توجد في المجتمع، ويمكن أن تجد هذه التغيرات مقاومة من الذين يخشون نتائجها، أو يتخوفون من آثارها على المدى القريب أو البعيد.

وإذا كان الانتشار الثقافي هو المصدر الأساسي للتغير الاجتماعي والثقافي، فإنه يتوقف على الاتصال الثقافي أيا كان نوعه، ومن هنا، يتباين معدل التغير وفقا للموقع الجغرافي للجماعة. وليس من قبيل الصدفة أن تظهر الحضارات القديمة بين المجتمعات التي تقع على ضفاف أنهار عظيمة كنهر النيل في مصر، أو على شواطئ بحار رئيسية كالبحر الأبيض المتوسط، او على طرق القوافل، فإن وجود مثل هذه المجتمعات في مثل تلك المواقع قد يسر الاتصال والانتشار الثقافي، الذي عمق ووسع قاعدتها الثقافية، وأثرى الأفكار النظرية والممارسات العملية فيها، وزاد من حيويتها وقدراتها التوافقية. وفي هذه المجتمعات ظهرت

---

[38]- إسمهان حطاب، " **الإنقسامات الإثنية في مالي وتأثيره على الأمن الوطني والإقليمي"** ، مجلة فكر ومجتمع، العدد32، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع،الدويرة، الجزائر، 2016 ص 391

أعظم الكشوف والاختراعات في التاريخ الإنساني، وذلك كالحروف الأبجدية، ونظم الأرقام والتحنيط، وطرق التشييد والبناء، وكان ذلك قبل الميلاد بآلاف السنين.

ثانيا- المصادر الداخلية

المصادر الداخلية للتغير الاجتماعي والثقافي هي تلك التي يبدعها أفراد المجتمع ويطورونها من السمات الثقافية الموجودة فيه واهم هذه المصادر هي[39]:

أ- الاكتشافات والاختراعات:

تعد الاكتشافات والاختراعات من المصادر الداخلية للتغير الاجتماعي والثقافي. وبالرغم من أنهما كثيرا ما يردان معا، فإنه توجد فروق بينهما ، فالاكتشاف يتضمن التواصل إلى بعض العناصر الموجودة فعلا في الطبيعة، لكن لم يسبق لأحد إدراكها من قبل، وذلك مثل معرفة القوانين المختلفة كالقوانين النسبية والجاذبية والطفو، والتواصل إلى الجراثيم والميكروبات المسببة لأمراض معينة، أو اكتشاف البترول وغيره من المعادن. وأما الاختراع فيتضمن مزجا لعناصر موجودة في الطبيعة للتوصل إلى جديد لم يعرف من قبل، وذلك مثل السيارات والقطارات والطائرات ومراكب الفضاء وغيرها.

ب- التحديث:

يستخدم اصطلاح التحديث كلا من الاكتشافات والاختراعات، لأن العمليتين غالبا ما تتلازمان، وغالبا ما يكون التحديث ضروريا ليمضي الإنسان قدما في مسيرة تطوره والمحافظة على بقائه، فالتحديثات القليلة التي تمت في عصور ما قبل التاريخ، كانت ضرورية لبقاء الإنسان،ومن ثم فإنها يمكن أن تنتشر من مكان إلى آخر، فاكتشاف النار اختراع الطواحين، وفخاخ الصيد، على سبيل المثال ظهرت في مكان أو مكانين في العالم، ثم انتشرت بعد ذلك في أنحاء العالم المختلفة.

وما أن تنتشر التحديثات وتقبل، حتى توسع الجماعة من قاعدتها الثقافية، فيزداد المجموع الكلي للاكتشافات والاختراعات، المر الذي يؤدي إلى مزيد من التحديث . ومن هنا يتضح لنا السبب في أن معدل التغّير يكون أسرع في المجتمعات العصرية منه في مجتمعات ما قبل الصناعة.

---

[39]- هشام سبع، مرجع سابق ، ص 115

إن التحديث لا يعزى إلى اختلاف الذكاء بين الشعوب، وإنما يعزى إلى التراكم المعرفي لدى هذا الشعب أو ذاك، وكما يقول المثل اللاتيني" إن الأقزام الذين يقفون فوق أكتاف العمالقة، يرون أكثر مما يراه العمالقة أنفسهم" . ويوضح ذلك الميزات التحديثية لهؤلاء الذين يعيشون في مجتمعات عصرية.

ج- التحولات السكانية والديموغرافية:

يهتم هربرث سبنسر بمسائل السكان طبيعيا نتيجة لإهتمامه بالتطور البيولوجي الإجتماعي للقوى الطبيعية ، ولقد عرض سبنسر قضايا النظرية السكانية ضمن كتابه بعنوان" مبادئ البيولوجيا الذي نشره عام 1901.[40]

يعد التباين في حجم السكان وتركيبهم مصدرا من مصادر التغير الاجتماعي الهامة، فعلى الجماعات الصغيرة أو المنعزلة، التي تعاني من مشكلات الغذاء، أن تنفتح على الجماعات الأخرى، وتقوم بتطوير اقتصادياتها، أو تتعرض لخطر الانقراض . كما أن الزيادة الكبيرة في معدلات النمو السكاني، التي لا تقابلها زيادة مماثلة في معدلات التنمية، تحدث اختلالا في الأنماط الثقافية والنظم الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات ، الأمر الذي قد يدفع أفرادها إلى الهجرة وتؤثر هذه الهجرة في كل من البلد المرسل والبلد المستقبل.

المحور الخامس- أنماط التغيّر الاجتماعي

أولا- التغير الإجتماعي الخطي أو الطولي:

تفترض نظرية التغير الإجتماعي الخطي أو الطولي بأن جميع ظواهر وعمليات ونظم المجتمع تتغير باستمرار ، وتغير ها هذا يكون نحو أهداف محددة ومرغوب فيها. علما بأن هذا التغير لا يتمخض عنه تكرار الحوادث التي وقعت من الزمن الماضي ، بل يتمخض عنه وصول المجتمع إلى مراحل سامية ومتطورة تتميز بالدافعية والتشعب والقدرة على تلبية طموحات الإنسان والجماعة. [41]

وتكون بعض التغيرات جزءا من أحداث عريضة لا نستطيع أن نتنبأ بنتيجتها النهائية. فالتغيرات في الحياة الاجتماعية تكون مسبوقة بأحداث بسيطة أو بخطوات تمهّد لها . وقد تمضي التغيرات التدريجية دون أن يلاحظها أحد، وفجأة نجد أنفسنا إزاء تحول كبير. فالثورة الزراعية التي حدثت قبل التاريخ على سبيل المثال، لم تحدث في عشية او ضحاها

---

[40]- مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سبق ذكره ، ص 25

[41]- إحسان محمد الحسن، **المدخل إلى علم الإجتماع**، دا وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن،2005، ص 269

على شكل تحولات مثيرة في نمط الإعاشة، ولكنها كانت نتائج عمليات تدريجية من التعديل والتغير، مهدت كل عملية للعملية التالية لها. ويمكن أن يقال مثل هذا الكلام عن الثورة الصناعية، فإن بعض التطورات التي حدثت في أوربا قبل وقت طويل من هذه الثورة سبقت قيام المصانع الكبيرة، ويمكن القول بوجه عام، إن المجتمعات الحديثة تتصف بالتوسع في قاعدة المشاركة السياسية، وبتوفر الحريات والحقوق المدنية، وبزيادة الفرص التعليمية. وهذه كلها تغيرات تدريجية مهدت لتغيرات أكبر منها. ولكن قد لا يكون الأمر على هذا النحو دائما، فبعض المجتمعات الصناعية الحديثة يمكن أن يسودها القمع السياسي، والتعصب الأيديولوجي، وانعدام الحرية الشخصية كما هو الحال في الإتحاد السوفيتي ودول أوربا الشرقية. وكذلك الأمر في الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بعدم التسامح الديني، والمعاملة غير المتساوية للأقليات. وقد استخلص" دافيز" سنة 1980 من استقصاءات الرأي العام التي تمت في العقد الماضي، أن المناخ الليبرالي يحمل بين طياته تيارات محافظة، بمعنى أنه خلال مسيرة التطور الطويلة نحو الاتجاهات الليبرالي، تأتي لحظات يتحول فيها إلى وجهة عكسية. ويمكن أن تكون هذه التحولات بطبيعة الحال، بداية تغّير مناخي جديد.

ثانيا- التغير الإجتماعي الثوري:

تنطوي فكرة التغير الإجتماعي الدائري على مجموعة مسلمات مفادها بأن الظواهر الإجتماعية مهما تكن أنواعها وصورها تتكرر بين آونة وأخرى وتكرارها يعتمد على الظروف الموضوعية والذاتية التي تمر بها المجتمعات.[42]

وتتضمن التغيرات الثورية تحولات جذرية في البناء السياسي والبناء الاجتماعي الاقتصادي، ولكن الثورات لا تحدث ببساطة، فهي تنبثق عن مواقف ثورية. وقد شغلت اللحظات التاريخية التي تهيئ للثورة اهتمام عدد كبير من المنظرين الذين اهتموا بالتغيّر الثوري. ويعد " كارل ماركس" من أهم المنظرين المحدثين للتغير الثوري. ويلخص " سكوبول" سنة 1979 نظرية " ماركس" بهذا الصدد في ثلاث نقاط رئيسية:

1- إن كل ثورة لها خلفيتها التاريخية في المجتمع المعين الذي تحدث فيه. ومن هنا لا يمكن القول بنظرية عامة في الثورة.

---

[42]- المرجع السابق، ص 268

2- إن الحركات التنظيمية الثورية لا يمكن أن تنجح إلا إذا وجد صراع طبقي داخل المجتمع.

3- إذا وجد الصراع الطبقي داخل المجتمع، فإن الثورة لن تكتمل إلا إذا تم القضاء على الطبقة السائدة.

لقد انتقد " سكوبول" نظرية ماركس في ضوء الوقائع الفعلية. فإن معظم الثورات الحديثة لم تتم في بلدان رأسمالية صناعية، كما تنبأ بذلك " ماركس". فقد قامت العديد من الثورات المعاصرة في مجتمعات زراعية بتأثير قوى اقتصادية خارجية، أو بانقلاب عسكري، هذا بالإضافة إلى أن المشكلات الداخلية التي أدت إلى هذه الثورات كانت معظمها مشكلات سياسية تنجم عن الصراع بين القوى السياسية في المجتمع، أكثر منها مشكلات اقتصادية ناتجة عن صراع طبقي. وفي هذه الحالة، فإن جموع المزارعين هي التي يمكن أن تدعم مثل هذه الثورات، وليست " جموع العمال المطحونة" كما ذهب إلى ذلك" ماركس" . وأخيرا فإن التغيرات لن تشمل النظام الطبقي بقدر ما تشمل النظام السياسي القائم.

ثالثا- التغير الشمولي و العالمي:

لا يمكن أن ننظر إلى التغيرات الاجتماعية بمعزل عما يجري من تغيرات أعرض وأشمل في النظم العالمية، ويقصد بالنظم العالمية ، العلاقات السياسية والاقتصادية بين المجتمعات الصناعية المتقدمة، والدول الأقل نموا وتطورا. ويمكن النظر إلى الدول الصناعية المتقدمة، على أنها تشكل محور النظام الاقتصادي العالمي. وعندما كانت الدول النامية تزود الدول الصناعية بحاجتها من المواد الأولية، كانت الدول المتقدمة تقوم بتصنيع هذه المواد وإعادة تصديرها إلى الدول النامية التي كانت تشكل في مجموعها سوق لهذه الدول الصناعية. وهذا هو منطق الاستعمار. ولكن بانحصار الاستعمار وحصول الدول النامية على استقلالها، أصبح على الدول الصناعية أن تشتري ما تحتاجه من السوق المفتوحة لهذه الدول، بدلا من أن تأخذه بأبخس الأسعار كما كان يحدث في الماضي. [43]

[43]- هشام سبع، مرجع سبق ذكره، ص 119

وأصبحت دول العالم الثالث التي تملك المواد الخام، في مركز أقوى في تعاملها مع الدول الصناعية، ويظهر ذلك بوضوح إذا نظرنا إلى الدول المنتجة للنفط، فإن احتكارها لموارد شحيحة، جعلها تتحكم في أسعاره، وترفع هذه الأسعار المر الذي أدى إلى عديد من التغيرات في كل من المجتمع الصناعي، ومجتمع الدول المنتجة للنفط، وقد انعكس ذلك على مستوى المعيشة ومعدلات التنمية في كل من المجتمعين. ولم تقتصر التغيرات على المجتمعات الصناعية أو المجتمعات النفطية، بل إن هذه التغيرات شملت أيضا بقية المجتمعات النامية التي لا تمتلك هذه المادة الأولية الضرورية، فمعظم هذه المجتمعات مدقعة الفقر، مكتظة سكانيا وغير مستقرة. وهكذا ازدادت المجتمعات الغنية غنا، وازدادت المجتمعات الفقيرة فقرا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن عدم الاستقرار السياسي في عديد من الدول النامية في إفريقيا وآسيا وأمريكا الوسطى، غالبا ما يرجع إلى صراع على النفوذ بين كل من الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية للسيطرة على هذه المناطق من العالم، ومحاولة كل منهما إخضاعها لنفوذه.